أبجدية الياسمين

نزار قباني

الطبعة الأولى
نيسان «ابريل» ٢٠٠٨

منشورات نزار قباني
بيروت

الصورة وتصميم الغلاف لزينب نزار قباني

القصائد بخط الشاعر نزار قباني

مقدمة

ولد في ٢١ آذار ١٩٢٣ ورحل في ٣٠ نيسان ١٩٩٨.

ولد في الربيع ورحل في الربيع.

الربيع كان قدره كما كان الشعر.

... الأرض وأمي حملتا في وقت واحد ووضعتا في وقت واحد....

من مقدمة قصتي مع الشعر

في كل فصل ربيع كان يتأمل الأشجار المزهرة بإعجاب شديد وكأنه يراها كل مرة لأول مرة. فيهزّ برأسه قائلاً: «سبحان الله، كل شجرة لبست فستانها المفضل، واحدة بالأبيض والثانية بالزهر وأخرى بالأصفر وكل منها وكأنها تتزين لعرسها، أو تتنافس بينها كالبنات الفرحات بملابسهن الجديدة في العيد.

في الثلاثين من نيسان لهذا العام ٢٠٠٨ تمر عشر أعوام على رحيله. واحد من أكبر الشعراء العرب المعاصرين وواحد من أعظم الآباء، فتحية له ولعشاقه قررنا جمع القصائد الأخيرة التي كتبها بين عامي ١٩٩٧ و١٩٩٨ والتي لم تصدر في كتاب من قبل وننشرها كما كتبها بخط يده الجميل لنشارك محبيه كيفية كتابته للشعر ومزاجه والإلهام كيف يأتيه لعله الآن في أجمل مكان يبتسم لنا.

عندما مرض وفي السنة الأخيرة قبل وفاته كنا نتفائل عندما يشعر بالرغبة في الكتابة لأنها بالنسبة لنا كانت رغبة منه في الحياة، وكنا

نحرص على وضع أوراقه وأقلامه بالقرب من سريره لعله يكتب لأن الشعر كان لديه هو الحياة.

ولكن مع الأيام كثرت الأدوية وخفتت قدرته على الكتابة، فأزحنا الأوراق بعيداً وتركنا قلم، وفي ليلة استفاق ليكتب فوجد القلم وليس الورق، ولكن لحسن الحظ وجد كيس أدويته وهو مصنوع من الورق، فأفرغ الكيس وكتب عليه فكانت هذه الصفحة الفريدة التي نشارككم إياها كما كتبها على كيس الصيدلية.

نحن لا نودعه في هذا الكتاب، بل نسلم عليه سلام الشوق والربيع ونقول له،

«إشتقنا إليك يا نزار جميعاً...
والشعر اليوم من بعدك أصبح مثلنا يتيماً...
إشتقنا إليك أباً وشاعراً وإنسان...
فها هو ربيعٌ آخر يأتي ونيسان...
نحن لا نودعك في هذا الكتاب...
بل نسلم عليك سلام الشوق والربيع
ونقول لك
أزهرت الأشجار من جديد يا نزار
لعل الأشجار مزهرة دائماً حولك...»

أولادك

هدباء وزينب وعمر

نيسان ٢٠٠٨

Boots

Pharmacy

The Right Chemistry

قصيدة «بدونك»

With many thanks to Boots Pharmacy, UK

مع جزيل الشكر لصيدلية بوتس ـ المملكة المتحدة

الوطنُ .. حول سريري!!

عندما فتحتُ عينيَّ في غرفة الانعاش في مستشفى سان توماس في لندن، بعد الأزمة القلبيّة الخطيرة التي أصابتني، لم أصدّق ما تراهُ عيني...

فقد كان الوطنُ العربيّ كلُّه جالساً قربَ سريري، يذرفُ الدموع، ويضرعُ الى الله كي يعيدَ الى قلبي السلامة والعافية.

* * *

كانَ مشهداً خرافياً لا قُدْرَةَ لي على تصويره. فكيف يمكنني أن أتصوّر أنَّ مئتيْ مليون عربي، يمكنهم أن يحتشدوا في غرفةٍ ضيّقة يُشْغِلُها شاعرٌ عربيٌّ مريض؟؟

هل يكفي أن أكونَ واحداً من الشعراء العرب، حتى يأتي الوطنُ كلُّه، بأرضه وسمائه، وأشجاره، وأنهاره، وبحاره، ورجاله، ونسائه، وأطفاله، ليدافعَ عن حياتي، ويمسحَ العَرَقَ عن جبيني، ويؤدّي صلاةً جماعيةً من أجل نجاتي؟؟

* * *

هل كتابةُ الشعر وحدَها، تُعطيني حقّ هذا الامتياز العظيمْ؟

إنني لا أميلُ الى هذا الرأي.

فالشعراءُ العربُ أكثرُ من نجوم السماء، ورمل الصحاري، وعُشْبِ البراري..

فلماذا اختارني الوطنُ دون غيري من الشعراء، وجعل غرفتي في مستشفى سان توماس مهرجاناً للورد، والعطر، ومكاتيب الهوى؟!..

ربّما لأنني رفعتُ الكلفةَ بيني وبين الوطن، وجلستُ مع الناس على بساط المحبّة والديموقراطية، وتقاسمتُ معهم لغةً شعريةً لا تختلف في بساطتها عن حديثهم اليومي.

وربّما لأنني لم أمارس الغشَّ والخديعة والنفاقَ في كتابتي، ولم أنحنِ أمامَ أيةِ سُلْطةٍ سوى سُلْطةِ الله...

ولأنني كنتُ شاعرَ الناس.. لم يتركني الناس لحظةً واحدة، بل حملوني بصدورهم وأهدابهم، واستوطنوا غرفتي رقم ١٣ في مستشفى سان توماس ليلاً ونهاراً...

* * *

إنّ الغرفة رقم ١٣ في مستشفى سان توماس، تُشكّل منعطفاً تاريخياً في تاريخ حياتي، ومحطةً كبرى في سيرتي الذاتية.

فقبلَ أن أدخل هذه الغرفة كنتُ شيئاً.. وبعد أن خرجتُ منها أدركتُ أنني أعيش ولادتي الثانية...

* * *

لا يعني هذا الكلام انني قبل دخولي المستشفى في شهر أكتوبر ١٩٩٧ كنتُ شاعراً مجهولاً، ولكن ما حدث في الغرفة رقم ١٣، كشف لي كيف بوسع الشعر أن يجمع حولك الدنيا، وكيف بوسع الشاعر إذا وضع قلبه على كفّه، وقدّمه كتفاحة حمراء الى الجماهير، فإن هذه الجماهير سوف تدافع عنه بأهدابها في ساعة الخَطَر...

ويشهد الله أنّ ما لقيتُهُ من عشق الناس، كان فوق ما أتوقّع وما أتخيّله. وأن أمطار الحنان التي تساقطت على سريري اللندني لم تكن مجرّدَ نهرٍ صغير.. بل كانت طوفاناً حملني بين ذراعيه، وأوصلني الى شاطئ السلامة..

* * *

إن الأزمة القلبية التي مررتُ بها أخيراً، لم تكن أزمةً جسديّة فحسب، بل كانت (استفتاءً) عظيماً لشعري.

ربما كان الاستفتاء موجعاً ودراماتيكياً، ولكنه في نظري كان استفتاءً ضرورياً لفَرْز الأوراق، وتحديد الأدوار، ولأعرفَ أين هو موقعي على خريطة الشعر!!..

صحيحٌ، أن الوسامَ جاءني من خلال الوجع والمعاناة، ومعركة الحياة والموت، ولكنه كان وساماً عظيماً عبَّر فيه الشعبُ العربيُّ عن خياره... وقال رأيه بشكل دستوريّ.

* * *

خلال شهري أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٧، تحوّل مستشفى سان توماس في لندن الى مهرجانٍ من الحنان، والألوان، والرياحين، ومكاتيب الهوى، والبرقيات، والفاكسات، حتى غرق سريري في طوفانٍ من العشق لم أستطع مقاومته...

كان المشهد أقرب الى ما يحدث في الروايات العاطفية العنيفة، حتى أن الأطباء والممرضات البريطانيين، كانوا يتساءلون: من هو هذا الشاعر العربي الذي حَمَلَ قبيلتَهُ مَعَهُ، وجاءَ ليُشْغِلَ أجنحة هذا المستشفى الانكليزي العريق؟

وهل كان الشعب البريطاني على استعداد لإظهار مثل هذه العاطفة الغامرة نحو الشاعر الانكليزي الشهير وليم شكسبير؟!

* * *

إن موقف العرب من الشعر لا يمكن تشبيهُهُ بموقف أي شعب آخر. فالشعر عند العرب فيه الكثير من أوصاف السِّحْر.. وتجليات النبوّة.. والشاعرُ العربي يأخذ لدى عاشقيه صورةَ الأولياء.. والقدّيسين!..

لذلك لم أستغرب الدعوة الجميلة التي وجّهها صالون العشرين الأدبي في لبنان، إلى الأدباء والشعراء والعشّاق، (للحضور إلى كنيسة سيّدة حريصا يوم الجمعة ٣ أكتوبر لإيقاد الشموع، والمشاركة في صلاة تضرّع من أجل نجاة الشاعر الذي أعطى لبنان من الحبّ، ما لم يُعْطِهِ شاعرٌ آخرْ...)

* * *

كيف يمكنني أن أقرأ هذه الأنباء، وأنا مُسْتَلْقٍ على فراشي في لندن، دون أن تجتاحني رعشة زهو وكبرياء؟، ودون أن أعترف بجميل هؤلاء الأصدقاء الرائعين الذين أضاؤوا لي شموع المحبة على بعد آلاف الأميال في جبل لبنان، من أجل نجاتي، فلامستْ صلواتُهم شُرُفاتِ السماء..

* * *

ثم كيف يمكنني أن أنسى كبارَ العرب، من ملوكٍ، ورؤساء، ووزراء، وسفراء، وقادة، ورجال سياسة، ورجال فكر، وشعراء، ومثقفين، وفنانين، وصحافيين، الذين وقفوا معي هذا الموقف الحضاريّ الكبير، وأكّدوا صداقتهم واحترامهم للكلمات الجميلة والشعر الذي لا يُساوَم.

* * *

لقد كانت ذَبْحةُ القلب التي أصابَتْني أخيراً - على خطورتها - حَدَثاً رائعاً وجميلاً.. لأنها أرَتْني قبل أن أموت، أبعادَ مجدي، كما أرتني أن بذورَ الحب التي زرعتُها على مدى خمسين عاماً في تراب الوطن، قد غطّت الدنيا باللون الأخضر من المحيط إلى الخليج.

لقد علّمتني ذَبْحةُ القلب، أن كتابةَ الشعر ليست مجرّد نزهةٍ في ضوء القمر، أو حفلة ألعاب نارية، ولكنها رحلةٌ باتجاه الهاوية.

فإذا أخذني الوطنُ بين ذراعيه، وسهر طول الليل قرب سريري، فلأنني خلال خمسين عاماً كنتُ ضميرَ الناس ووجدانهم، وكنتُ صوتَ العشّاق، والثوار، والأحرار، والمناضلين، كما كنتُ صوتَ النساء.. وسيفَهُنَّ المسلول..

خمسونَ عاماً مع الناس، كلّ الناس، كبيرهم وصغيرهم، غنيّهم وفقيرهم، قويّهم وضعيفهم، حتى صار شعري جزءاً من حياة الناس، وكلامهم، وطعامهم، وشرابهم، وتنفّسهم..

* * *

إني أعترف لكم أنني نزفتُ طويلاً على أوراقي، ودفعتُ ضريبةَ الشعر من جسدي ومن صحّتي..

إلا أنني بالمقابل، أعترف لكم، أنني أخذتُ من حبّ الناس ما لم يأخذه أيُّ شاعرٍ آخر..

* * *

لقد كنتُ أول شاعرٍ عربي يُمسِكُ مجدَه بأصابعه، وهو على قيد الحياة.. ويرى حفلةَ عُرْسِهِ بواسطة البثّ المباشر.. لا بواسطة شريط فيديو!!

* * *

إنني أكتبُ لكم هذه الكلمات من الغرفة رقم ١٢ في مستشفى سان توماس في لندن، وأنا في حالة نفسيّة أقرب ما تكون إلى حالة الرهبان والصوفيين..

إن السرير الذي أرقدُ عليه يكاد يطير، ومعه يطير مئة مليون عربي هم أهلي.. وقبيلتي.. ورعيّتي..
رتّبتُهم واحداً واحداً.. من مراكش.. إلى بادية الشام.. إلى شطّ العرب..

مئة مليون عربي لم يتخلّفْ منهم رجلٌ.. ولا امرأة.. ولا طفل.. ولا تلميذ مدرسة.. ولا مثقّف.. ولا نصف مثقّف.. هبطوا كالعصافير على نوافذ غرفتي في لندن يحملونَ لي في مناقيرهم أزهارَ العشق.. وقمحَ المحبة..

* * *

خمسون عاماً حاولتُ فيها أن أؤسِّسَ جمهوريةً للشعر، ترفعُ أعلامَ الحبّ والعدلِ والحرية.. وتتكلّمُ مواطنوها لغةً واحدةً، وتُتوِّجُ فيها النساءُ ملكاتٍ على مدى الحياة.

وها أنذا بعد خمسين عاماً أُعلنُ من لندن انتصارَ جمهوريتي التي تمتدُّ من العينِ إلى العينِ.. ومن القلبِ إلى القلبْ..

* * *

وبعدُ.. وبعدُ..

فإذا قُدِّرَ لي أن أخرجَ من الغرفة رقم ١٢ في مستشفى سانت توماس في لندن، وأنا أرفلُ بأثواب العافية، فلأنّ الحبَّ العظيم الذي طوّقني به هذا الشعبُ العربيُّ العظيم هو الذي أعطاني الفرصةَ كي أعيشْ!!..

لندن ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٧

... هذه هي القصائد الأخيرة ...

تَعِبَ الكَلامُ من الكَلامِ ...

١

لم يبقَ عندي ما أقولُ .
لم يبقَ عندي ما أقولُ .
تعبَ الكَلامُ من الكَلام ..
وماتَ في أحداق أعْيُنِنَا النخيلُ ..
شَفَتَايَ من خَشَبٍ ..
ووجهُكِ مُرْهَقٌ
والنَهْدُ .. ما عَادَتْ تُدَقُّ لهُ الطُبولُ !! ..

٢

لم يبقَ عندي ما أقولُ .
الثلجُ يسقطُ في حديقتِنا
ويسقطُ من مشاعِرنا ..
ويسقطُ من أصابعِنا ..
ويسقطُ في الكؤوسِ ..
وفي النبيذِ ..
وفي السريرِ ..
فأينَ هوَ البديلُ ؟؟..

٣

لم يبقَ عندي ما أقولُ .
يَبِسَتْ شرايينُ القصيدةِ ..
وانتهى عصرُ الرَبابةِ .. والصَبابةِ ..
وانتهى العُمْرُ الجميلُ !..

٤

الشِعْرُ غادرني
فلا بحرٌ بسيطٌ .. أو خفيفٌ .. أو طويلْ ..
والحبُّ غادرني
فلا قَمَرٌ ..
ولا وَتَرٌ ..
ولا ظِلٌّ ظليلُ ...

٥

لم يبقَ عندي ما أقولُ .
لم يبقَ في الميدان فُرْسانٌ ..
ولا بقيتْ خيولُ ...
فالجِنْسُ صَعْبٌ ..
والوصُولُ إلى كُنُوزِكِ مُسْتَحِيلُ !!...
والنَّهْدُ يَقْتُلُني ..
ويَزعُمُ أنه الطَرَفُ القتيلُ !!..
والموجُ يرفَعُني .. ويرميني .. كثورٍ هائجٍ ..
فلأيِّ ناحيةٍ أميلُ ؟؟
ماذا سَيَبْقى من حِصَانِ الحُبِّ ..
لو ماتَ الصهيلُ ؟!؟

٦

لم يَبْقَ شيءٌ في يَدي ..
هَرَبَتْ عصافيرُ الطُفُولةِ من يَدي ..
هَرَبَتْ حبيباتي ..
وذاكرتي ..
وأَحْلامي ..
وأَوْراقي ..
وأَقْفَرَتِ الشواطئُ .. والحُقُولُ ...

٧

لم يبقَ عندي ما أقولُ .
طارَ الحَمامُ من النوافذِ هارباً ..
والريشُ سافَرَ .. والهديلُ ..
ضاعتْ رسائلُنا القديمةُ كلُّها ..
وتناثرتْ أوراقُها .
وتناثرتْ أشواقُها .
وتناثرتْ كلماتُها الخضراءُ في كلِّ الزوايا ..
فبكى الحمامُ على رسائلِنا ..
كما بكتِ السنابلُ ..
والجداولُ ..
والسهولُ ....

٨

عَيْناكِ تاريخانِ من كُحْلٍ حِجازيٍّ ..
ومن حُزْنٍ رماديٍّ ..
ومن قَلَقٍ نسائيٍّ ..
فكيفَ يكونُ ، سيّدتي الرحيلُ ..
إنّي أفرُّ إلى أمامي دائماً ..
فهل ابتعادي عنكِ ، سيّدتي ، وصولُ ؟..
ماذا سأفعلُ كيف أفلتُ سَلاسِلي ؟
لا الشِعْرُ يُجْديني .. ولا يُجْدي الكُحولُ !!..

٩

لم يبقَ شيءٌ في يدي .

كلُّ البطولاتِ انتهتْ ..

والعنترياتُ انتهتْ ..

ومعاركُ الإعرابِ .. والصرفِ .. انتهتْ ..

لا ياسمينُ الشامِ يعرفُني

ولا الأسوارُ .. والصفصافُ .. والأهدابُ .. والخدُّ الأسيلُ ...

وأنا أحدّقُ في الفراغِ ..

وفي يديكِ ..

وفي أحاسيسي ..

فيغرقُ في الذهولِ ..

١٠

أرجو السماحَ ..

إذا جلستُ على الأريكةِ محبطاً .

ومشتتاً ..

ومبعثراً ..

أرجو سماحكِ ..

إنْ نسيتُ بلاغتي ..

لم يبقَ من لغةِ الهوى إلّا القليلُ ..!!

لندن ١٥ آذار (مارس) ١٩٩٧

فِي الحُبِّ المُقَارَنْ ...

١

ما بين وَجْهِكِ والقصيدةِ
حينَ أكتُبُ نقطتينِ..
شَبَهٌ كبيرٌ.

٢

ما بينَ خَصْرِكِ.. والكَمانِ..
علاقةٌ وَتَرِيَّةٌ..
شِعْرِيَّةٌ.. لُغَوِيَّةٌ.. مائيَّةٌ..
تَبكي.. كما يبكي من الشوقِ الحريرُ..

٣

ما بينَ شَعْرِكِ.. حينَ يَصْهَلُ..
والخيولِ، إذا رَمَتْ بسُرُوجِها
شَبَهٌ مُثيرُ..

٤

ما بينَ صوتِكِ.. والبَلابلِ..
صُحْبَةٌ أَزَلِيَّةٌ.
فإلى السماءِ..
مَعَ الطُيُورِ.. يَطيرُ..

٥

بيني .. وبينَ المُشْمُشِ الحَمْوِيِّ
في شَفَتَيْكِ ، سيِّدتي ،
عَلاقَاتٌ مُمَيَّزَةٌ .
وأَشواقٌ مُمَيَّزةٌ .
وقُبْلاتٌ مُمَيَّزةٌ .
وحالاتٌ مُشَقَّقَةٌ .
وحالاتٌ مُراهِقَةٌ .. وعَاصِفَةٌ ..
وحالاتٌ من الإبداعِ ، تَلْتَمِسُها العُطُورُ ...
وأسْفارٌ إلى جُزُرٍ من الياقُوتِ ..
تَذْكُرُها المراكبُ والبُحُورُ ...

٦

ما بينَ حَرْفِ النُونِ ..
والنَهْدِ الذي صَوَّرْتُهُ
تُفَّاحةً ذَهَبِيَّةً ..
شَبَهٌ خطيرٌ ...
فإذا أنا شاهَدْتُهُ
مُتأنِّقاً ..
مُتَبَسِّماً ..
ومُجامِلاً ..
ومُمَيَّزاً بجوارِهِ ..
وسألْتُهُ : مَنْ أنتَ ؟
قالَ : أنا السَفيرُ !!..

٧

للنَهْدِ ..
تاريخٌ حضاريٌّ مهمٌّ ..
فهوَ المُكَرَّمُ ..
والمُبَجَّلُ ..
والأميرُ !!.

٨

إنّي أُحبُّكِ ...
فكلما شاءَ الهَوَى ..
ما هَمَّني الشَعْرُ الطويلُ ...
ولا القصيرُ ...

٩

إنّي أحبُّكِ..
كيْ أؤكّدَ صورتي..
وحضارتي..
فأنا أفرّقُ دائماً..
بينَ الثقافةِ.. والسريرِ!!..

١٠

ما بينَ أوراقي.. وبينَ يَدَيْكِ..
تاريخٌ حضاريٌّ طويلٌ..
فإذا تركتُ أصابعي
في راحتَيْكِ دقيقةً
نبتَ النخيلُ!!..

١١

وإذا جَلَسْتُ على سريرِكِ لحظةً..
طلعتْ زُهورُ الصيفِ من جَسَدي..
وفي عَيْنيَّ..
أَوْرَقَتِ الحُقولُ!!..

١٢

وإذا سمعتُكِ تقرأينَ قصائدي
في الليلِ.. زَارَتْني عصافيرٌ..
وغَطَّا في الهديلِ!!..

١٣

مازلتُ أبحثُ عن كلامٍ آخرٍ..
لم تَسْمَعيه..
ووردةٍ حمراءَ..
تُوجِزُ كلَّ تاريخِ العبيرْ..

١٤

مازلتُ أبحثُ في لُغاتِ الأرضِ..
عن لُغَةٍ..
تكونُ بمستوى حُبّي الكبيرْ..

١٥

مازلتُ أبحثُ عنكِ ..
في نَفْسي ..
وفي أعماقِ ذاكرتي ..
وفي الوَرَقِ المُقدَّسِ فوقَ طاولتي ..
وفي الحَطَبِ الذي يبكي بموقدتي ..
يا مَنْ أحتمِطُ بماءِ العينْ ...
أو ماءِ الضميرْ ...

١٦

يا مَنْ أنا شكَّلْتُها
بأصابعي .. وزوابعي .. ومدامعي ..
لن تخرُجي من سلطتي أبداً ..
ولن تتحرَّري منّي .. ومن هذا السَّعيرْ ...
أنْشَدْتُ في عينيْكِ ألفَ قصيدةٍ ..
لكنَّني لم أكتُبِ البيتَ الأخيرْ !!

لندن ربيع ١٩٩٧

رسالةٌ جديدةٌ ...
من صديقةٍ قديمةْ !!..

١

شُكْراً على حُبِّكَ .. يا حبيبي .
أُنوثتي ، لولاكَ ، ما اكتشفتُها .
وفتْنَتي ، لولاكَ ، ما عَرَفتُها .
أنتَ أحاسيسي التي تَفتَّحتْ .
وأنتَ أعصابي التي تَشَكَّلَتْ .
وأنتَ أنوثتي التي تفجّرتْ .
وأنتَ غاباتي التي قد أورقَتْ ..
وأنتَ لي ، مَدْرَسَةُ الحُبِّ التي
من حُسْنِ حظّي أنني دَخَلْتُها ....

٢

شكراً على اهتماماتكَ..
في فكري، وإبداعي، وفي ثقافتي.
شكراً على صياغتي.
فليسَ من قصيدةٍ مشهورةٍ،
وليسَ من عبارةٍ مأثورةٍ،
وليسَ من معزوفةٍ جميلةٍ،
إلّا على يديكَ قد حفظتُها...

٣

يا رجلي الوحيدَ..
يا تجربتي الأولى التي جرّبتُها.
شكراً من القلبِ..
على لمساتكَ الأخيرةْ..
شكراً من المشهدِ الذي رسمتَهُ
تفاحةً من ذهبٍ..
وقبّةً من خزفٍ..
وقطّةً شاميّةً صغيرةْ!!

٤

يا رَجُلَ الرِجالِ..
يا أيْقُونةً في عُنقي عَلَّقْتُها.
يا قَهْوَةَ العشْقِ التي
من يوم أنْ وُلِدتُ.. قد أدْمَنْتُها.
يا أحْرُفاً من فِضَّةٍ
كنتُ على دَشْداشَتي السوداءِ..
قد طَرَّزْتُها...
يا وردةً جُوريّةً
في بُؤبُؤ العينَيْنِ..
قد زَرَعْتُها..

٥

يا رَجُلاً مُمَيَّزاً..
بعقلِهِ.. وشَكْلِهِ.. وصَوْتِهِ..
كم كانَ حَظّي في هَواكَ جَيِّداً..
فإنَّكَ الجائزةُ الكُبرى التي رَبحتُها..
وأنتَ أحلى لحظةٍ طَوالَ عمري عِشْتُها..
وأنتَ، يا صديقي،
حماقةٌ رائعةٌ
بين حماقاتي التي ارتكبْتُها..

٦

يا أيُّها العنيفُ .. والرقيقُ ..
والعاقلُ .. والمجنونُ ..
والعاديُّ .. والعاصفُ ..
والساديُّ .. والرحيمُ ..
لا تهتمَّ في حزني ..
وفي خوفي ..
وفي كلِّ الشرايينِ التي قطعتَها ..
فإنّني سعيدةٌ ...
سعيدةٌ ...
سعيدةٌ ...
بلعبةِ الحبِّ التي لعبتَها !!

٧

يا سيِّدي المحفورَ في جلدي، وفي ذاكرتي .
يا لاعبي بكلمةٍ جميلةٍ ..
وباعثي بقُبلةٍ طويلةٍ ..
لن أتخلّى عن طموحي أبداً ..
فأنتَ أرقى عاشقٍ صادفتُهُ
وأنتَ أحلى طفلةٍ أنجبتُها !!..

٨

مِنْ أجلِ أن تبقى معي..
أصابعي الخمسُ أنا أشعلتُها .
من أجلِ أن تكونَ لي ،
كتبتُ آلافَ المكاتيبِ..
وما أرسلتُها..

٩

يا سيّدي : لا تتصوَّرْ أنّني نادمةٌ..
أو أنّني تائبةٌ.. أو أنّني هاربةٌ..
فأنتَ من أجملِ أخطائي التي اقترفتُها..
وأنتَ من أقوى الأعاصيرِ التي واجهتُها .

١٠

يا مُضرِمَ النيرانِ في مشطِ عمري ،
يا واضعَ الكبريتِ في خزانتي .
يا ساكبَ الزيتِ على شراشفي..
سأدخلُ النارَ بلا تردُّدٍ..
فإنَّ نارَ الحُبِّ لا تُخيفني..
لأنّني أُحبُّها.. أُحبُّها.. أُحبُّها !!..

لندن آذار (مارس) ١

طَعَنُوا العُرُوبَةَ في الظَّلامِ بِخَنْجَرٍ
فإذا هُمُ بينَ اليهودِ .. يَهُودُ !!.

١

لا تَسْألِيني ،
يا صديقةُ ، مَنْ أنا ؟
ما عُدْتُ أعرفُ ..
- حينَ أكْتُبُ -
ما أُريدُ ...
رَحَلَتْ عَبَاءَاتٌ غَزَلْتُ خُيُوطَها ..
وتَمَلْمَلَتْ مِنّي
العُيُونُ السُّودُ ..
لا الياسمينُ تجيئُني أَخْبارُهُ ..
أمَّا البَريدُ ..
فليسَ ثَمَّ بَريدُ ...
لم يَبْقَ في نَجْدٍ .. مكانٌ للهوى
أو في الرُّصافَةِ ..
طائِرٌ غِرِّيدُ ....

٢

العالمُ العربيُّ..
ضيّعَ شِعْرَهُ.. وشُعُورَهُ..
والكاتبُ العربيُّ..
بينَ حُروفِهِ.. مَفْقُودُ!!..

٣

الشِعْرُ، في هذا الزمانِ..
فَضيحةٌ..
والحُبُّ، في هذا الزمانِ..
شَهيدُ..

٤

مازالَ للشِّعْرِ القديمِ
نَضارةٌ ..
أما الجديدُ ..
فما هناكَ جديدُ !!
لُغةٌ .. بلا لُغَةٍ ..
وحَوْقُ ضفادعٍ ..
وزوابعٌ وَرَقيَّةٌ
ورُعودُ ..
ثُمَّ يَذْبَحُونَ الشِّعْرَ ..
مثلَ دَجاجةٍ ..
ويُزَوِّرونَ ..
وما هناكَ شُهودُ !!..

٥

رَحَلَ المُغَنُّونَ الكِبارُ
بشِعْرِنا ..
نُفِيَ الفرزدقُ من عَشيرتِهِ
وفَرَّ لبيدُ !!

٦

هَلْ أَصْبَحَ المَنْفَى
بديلَ بُيُوتِنا ؟
وهل الحَمَامُ ، مع الرحيلِ ..
سعيدٌ ؟؟

٧

الشِّعْرُ .. في المَنْفَى الجميلِ ..
تَحَرُّرٌ ...
والشِّعْرُ في الوَطَنِ الأَصيلِ ..
قُيُودٌ !!..

٨

هل لندنٌ ..

للشعرِ، آخرُ خيمةٍ ؟

هل ليلُ باريسٍ..

ومدريدٍ..

وبرلينٍ..

ولوزانٍ..

يبدّدُ وحشتي ؟

فتفيضُ من جسدي

الجداولُ..

والقصائدُ..

والورودُ ؟؟...

٩

لا تسأليني ..

ياصديقةُ : أين تبتدئُ الدموعُ ..

وأين يبتدئُ النشيدُ ؟

أنا مَركبٌ سكرانُ ..

تُقلِعُ دونَ أشرعةٍ

وتُبحِرُ دونَ بوصلةٍ ..

ويدخلُ في بحارِ الله منتحراً ..

ويجهلُ ما أرادَ ..

وما يريدُ ....

لا تسألي عن مخازي أمتي
ما عدتُ أعرفُ - حين أغضبُ -
ما أريدُ...
وإذا السيوفُ تكسّرتْ أنصالُها
فشجاعةُ الكلماتِ.. ليستْ تفيدُ...

لا تسأليني..
من هو المأمونُ.. والمنصورُ؟
أو منْ كانَ مروانُ؟
ومَنْ كانَ الرشيدُ؟
أيامَ كان السيفُ مرفوعاً..
وكان الرأسُ مرفوعاً..
وصوتُ اللهِ مسموعاً..
وكانتْ تملأُ الدنيا..
الكتائبُ.. والبنودُ...
واليومَ، تخجلُ العروبةُ من عروبتِنا..
وتخجلُ الرجولةُ من رجولتِنا..
وتخجلُ الترافُتُ من تموقتنا..
ويلعنُنا هشامٌ.. والوليدُ!!..

١٢

لا تسأليني..
مرةً أخرى.. عن التاريخِ..
فهو إشاعةٌ عربيّةٌ...
وقصاصةٌ صُحفيّةٌ..
وروايةٌ عبثيّةٌ....
لا تسألي، إن السؤالَ مذلّةٌ..
وكذا الجوابُ مذلّةٌ..
نحنُ انقرضنا..
مثلَ أسماكٍ بلا رأسٍ..
وما انقرضَ اليهودُ!!..

١٣

أنا من بلادٍ..
كالطحينِ تناثرتْ..
مِزَقاً..
فلا ربٌّ.. ولا توحيدُ..
تغزو القبائلُ بعضَها بشراهةٍ
كبرى..
وتفترسُ الحدودَ.. حدودُ!!..

١٤

أنا من بلادٍ..
تَلَبَّسَتْ رايا تبرط..
فَلْتابِعُوا التَّوْراةَ.. والتَّلْمُودَ...

١٥

هل في أقاليمِ العُروبَةِ كُلِّها..
رجُلٌ سَوِيُّ العقْلِ..
يَجْرُؤُ أنْ يقُولَ: أنا سعيدٌ ؟؟..

١٦

لا تسألِيني من أنا ؟
أنا ذلكَ الهِنْدِيُّ..
قد سَرَقُوا مَزارِعَهُ.
وقد سَرَقُوا ثَقافَتَهُ..
وقد سَرَقُوا حَضارَتَهُ...
فلا بَقِيتْ عظامٌ منهُ..
أو بَقِيتْ جُلُودٌ !!.....

أَنْيَابُ أَمْرِيكَا..
تَغُوصُ بِلَحْمِنَا..
والحِسُّ في أعماقِنا مَقْهُورُ...

نَتَقَبَّلُ (الفيتو)...
ونلثُمُ كفَّهُ..
ومتى يَثُورُ على السِّيَاطِ عبيدُ ؟؟..

١٩

والآن جاؤوا من وراءِ البَحْرِ..
حتّى يشْرَبوا بتْرولَنا...
ويُبدِّدوا أموالَنا...
ويُلوِّثوا أفكارَنا..
ويُصدِّروا عُهْراً إلى أولادِنا..
وكأنّنا عَرَبٌ هُنودُ!!

٢٠

لا تسأليني. فالسُّؤالُ إهانَةٌ.
نيرانُ إسرائيلَ تُحْرِقُ أهلَنا.
وبلادَنا.. وتُراثَنا الباقي..
ونحنُ جليدُ!!..

٢١

لا تسأليني، يا صديقةُ، ما أرى.
فالليلُ أعمى..
والصَّباحُ بعيدُ..
طَعَنوا العُروبَةَ في الظَّلامِ بخنْجَرٍ
فإذا هُمُ... بينَ اليَهودِ يهودُ!!!...

لندن ١ نيسان (أبريل) ٩٧

أنا لا أؤجّرُ للنساءِ سَريري!!..

وَصلتْ عَلاقتُنا الى الرمقِ الأخيرِ..
لا بُدَّ من وَضْعِ النُقاطِ على السُطُورِ...

لا أنتِ عاشِقةٌ.. ولا أنا عاشِقٌ..
هل نستمِرُّ بلُعْبةِ التزْويرِ؟؟

ما قيمةُ الكلماتِ.. حينَ نقولُها.
إنْ كانتِ الكلماتُ دُونَ شُعُورِ؟

نتبادلُ القُبُلاتِ، دُونَ حماسةٍ
والقلبُ من خَشَبٍ.. ومن قَصْديرِ..

لمساتُنا صارتْ بغيرِ حَرارةٍ..
وَوُرودُنا صارتْ بغيرِ عبيرِ..

ودُموعُنا صارتْ بغيرِ مَدامعٍ.
وجُذُورُنا صارتْ بغيرِ جُذورِ...

لكم انْحَدَرنا في مَشاعرِنا.. فلا
لغةٌ تُوحِّدُنا سوى لغةِ السريرِ!!..

* * *

عصرٌ من العشقِ الكبيرِ قد انتهى
لم يبقَ منهُ الآنَ ، غيرُ قشورِ ..

ما عدتِ طاغيةَ الجبالِ .. مثيرةً
وأنا سقطتُ مضرَّجاً بغروري !!

كنّا على كلِّ الشفاهِ ، كقصّةٍ
للحبِّ .. بينَ أميرةٍ وأميرِ ...

كانَ الحريرُ يلفُّني بحنانهِ ..
واليومَ ، تخنقني خيوطُ حريري !!

كانتْ عطورُكِ ذاتَ يومٍ جنّتي ..
فأنا أموتُ مسمَّماً بعطوري !!

كانتْ عيونُكِ مرفأً أرسو بهِ
والآنَ ، أجهلُ ما يكونُ مصيري ..

واليومَ ، قد أخذوا الإمارةَ من يدي ..
واستملكوا ذهبي .. وكلَّ قصوري !!

* * *

إنّي مللتُ من الكلامِ مكرّراً ..
ومللتُ من جسدي .. ومن تفكيري ..

إنَّ القصيدةَ في الشفاهِ تجمّدتْ ..
لا شعرَ يُكتبُ تحتَ هذا الزمهريرِ ..

لنْ تسمعي منّي كلاماً كاذباً ..
صعبٌ عليَّ بأن أخونَ ضميري !!

* * *

يا مَرْأَةً.. تَرَكَتْ شَظايا صَوتِها..
ما بينَ أَشيائي.. وفوقَ سُطوري...

إنّي لأَرجوكِ السَماحَ.. إذا أنا
أَسْرَفْتُ.. أو أَوْجَعْتُ في تعبيري!!

أنا لا أُساوِمُ في شُؤونِ قصيدتي
أو أَنحني يوماً لأيِّ كبيرِ!!

* * *

ما كنتُ يوماً، شَهْرَياراً ثانياً..
حتّى أُؤَجِّرَ للنِساءِ سَريري!!...

ولأنّني في العَشْقِ لستُ مُهَرِّجاً..
لا بُدَّ من وَضْعِ النُقاطِ على السُطورِ!!...

لندن ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٩٧

أنا قصيدةُ حُبٍّ .. كانتْ سَبَباً
في سُقوطِ العَرَبِ من الأندلُسْ !!

سبتمبر ١٩٩٧

١

أنا مسؤولٌ .. عن كلِّ قصيدةِ حُبٍّ كتبتُها ..
ابتداءً من الوصولِ الى جَبَلِ طارقْ ..
وانتهاءً بمغادرة (قصر الحمراءْ) ..
مسؤولٌ عن سُيوفِ (بني الأحمر) ..
واحداً .. واحداً ..
وعن تنهُّداتهم .. واحداً .. واحداً ..

٢

أنا مسؤولٌ عن هذا الوطن الجميلْ..
الذي رسمتُهُ مرةً بانتصاراتي..
ومرةً.. بفتوحاتي.. وأوسمتي..
ومرةً.. بانكساراتي.. ودموعي..

٣

أنا مئذنةٌ حزينةٌ..
من مآذنِ قرطبةْ..
تريدُ أن تعودَ الى دمشقْ..

٤

أنا تراثُ أمي.. من الياسمينْ والخبّيزةْ..
لا يزالُ يعيشُ تحت ثيابي!!

٥

أنا قصيدةُ حُبٍّ
كانتْ سَبَباً..
في سُقوطِ العرَبِ من الأندلسْ!!

٦

أنا أوّلُ البكاءْ..
وآخرُ البكاءْ..

٧

أنا مجموعةٌ من الأحزان..
يستعملها الرهبانْ لصنعِ شموعِهمْ..

٨

أنا في الشرقِ..
سيفٌ من سيوف عبدالرحمن الداخلْ..
وفي الليل، مروحةٌ من الريشْ..
في يد إحدى راقصات (الفلامنكو)..

٩

أنا موشّحٌ أندلسيٌّ..
لم تكتبْ ساحاتُ (الحمراء) أجملَ منه..
قيثارةٌ.. تنتحبُ
على صدر (غارثيا لوركا)..

١٠

أنا ياسمينةٌ تتسلّقُ صباحاً
على عباءة (أبي عبدالله الصغيرْ)!!

١١

أنا مجموعةٌ من المواويلْ..
تستعملُها جبالُ لبنانْ..
للتعبير عن بكائها..

١٢

أنا كلُّ أوجاع العالمْ..
من جوليت غريكو..
إلى بابلو نيرودا..

١٣

على شفتيكِ
أيتها الأندلسيّة..
أبحثُ عن خطّ الاستواءْ
وعن غابات إفريقيا..
وعن حبّ الهالْ..
والفلفل الأسودْ..
ونبيذ مالاغا..
وزرقة القلاع
على شاطئ (ماربيا)..

١٤

أنا مسؤولٌ..
عن (زمان الوصل بالأندلسِ)..
وعن غزليات (العباس بن الأحنفْ...)
وعن كلّ وردةٍ حمراءْ..
تضعها (الولادةُ بنتُ المستكفي)..
على جبينها.....

١٥

أنا مجموعةٌ من الدموعْ..
تنبعُ من بلاد الشعرْ..
ولا يعرفُ أحدٌ..
في أيّ مكانٍ على شاطئ عيونكِ..
تصبُّ...

الحُبُّ .. على نارِ الحَطَبْ !!

١

آهٍ ..
لو أنّي تَعرَّفْتُ على سيّدتي ..
قبلَ آلافِ السنينْ ..
حينَ كنّا نفعلُ الحُبَّ ...
على ضَوْءِ الحَطَبْ ...
ونقولُ الشِعْرَ، عَفْويّاً،
على نارِ الحَطَبْ ..
حينَ كانَتْ قُبُراتُ العِشْقِ
ترمي فوقَنا مثلَ الرُطَبْ ..
آهٍ .. لو كنّا تَناثَرْنا على أرضِ الهوى
كقُصاصاتِ الذَهَبْ !!

٢

يا التي في وجهها أشياءُ من وجهي الحزينِ..
يا التي يقرؤها الناسُ بأهدابِ عيوني..
يا التي تسبحُ في حبري..
وأوراقي.. وفكري.. وظنوني.
آهِ يا سيدتي..
لو كنتِ شيئاً من حدودي..
آهِ يا سيدتي..
لو كنتِ جزءاً من جنوني!!..

٣

.. لو أني تعرّفتُ على سيدتي
منذُ آلافِ السنينْ..
حينَ كانَ الحبُّ كالخبزِ، بأيدي العاشقينْ..
وبريدُ الحبِّ يأتي..
كبريدِ الأنبياءِ المرسلينْ..
عندما كنتِ تقولينَ كلاماً..
أُنثوياً..
مخمليّاً..
قزحياً...
ككلامِ المانْدولينْ...
حينَ كانَ النهدُ سلطانَ السلاطينِ علينا..
وأميرَ المؤمنينْ!!..

٤

آهِ..
لو كنّا التقينا في دمشقَ-الشامِ، ياسيّدتي
حين كانَ الوردُ أُستاذي...
وكانَ الفُلُّ أُستاذي..
وكان الشعرُ أُستاذي..
وأستاذي بياضُ الياسمينْ..
ليتني خبّأتُ في شَعْرِكِ نايًا عربيًّا
وعصافيرَ..
وعلّمتُكِ ما لا تعلمينْ !!

٥

آهِ..
لو أنّي تعرّفتُ على عينَيْكِ..
في عصرِ الحضاراتِ..
وفي عصرِ الثقافاتِ..
وعصرِ الخالدينْ !!
ليتنا كنّا التقينا في فْلورَنْسا
بين إيقاعِ الأزاميلِ..
وصرخاتِ التماثيلِ..
ونارِ المبدعينْ....

٦

آهِ..
لو أنّي تعرّفتُ على سيّدتي
منذُ آلافِ السنينْ..
قبلَ أن يكتشفَ الإنسانُ، ما الشِعْرُ؟
وأن تكتشفَ الأوراقُ، ما الحِبْرُ؟
وأن تكتشفَ الأسماكُ، ما البَحْرُ؟
وأن تكتشفَ الأهدابُ، ما الكُحْلُ؟
وأن يكتشفَ العصفورُ، إسْمَ السَوْسَنْ..
ليتَنا كنّا سبقْنا الوقتَ، يا سيّدتي
واختصَرْنا الأزمِنَهْ..

٧

ليتنا كنّا التقَيْنا
من أُلوفِ السنَواتْ..
كنتُ أحدثتُ انقلاباً
بينَ نَهْدَيْكِ...
وأنْزَلْتُ عليكِ المُعْجزاتْ..
ونقلتُ البَرَّ.. والبَحْرَ..
وغيّرتُ وجُوهَ الكائناتْ..
وجعلتُ النيلَ في مصرَ..
امتداداً للفُراتْ!!

٨

آهِ .. يا سيّدتي
لو جئتني قبلَ آلافِ العصورْ
حينَ كان اللهُ مشغولاً
بإصدارِ جوازاتِ النساءْ ..
وبتشجيرِ الجناتِ .. وتلوينِ الفراشاتِ ..
وتلوينِ البحورْ ..
حين كان اللهُ يكتبُ في دفترِه الورديِّ
أسماءَ الأزاهيرِ .. وأسماءَ الطيورْ

٩

يا التي تخزنني في شعرها الشاميِّ
نقشاً عربياً ..
وقواريرَ عطورْ ..
يا التي منها تعلّمتُ ثقافاتِ الهوى ..
وثقافاتِ الشعورْ ..
أنا مجنونٌ .. فدوري حول شِعري
واتركيني .. حول نهديْكِ .. أدورْ !!

١٠

أرْجِعيني مرةً أُخرى
الى عَصْرِ الحَطَبْ ...
أرْجِعيني مرةً أُخرى
إلى دَوْزَنَةِ النَّايِ ..
وآهاتِ الرَّبابَةْ ...
أرجعيني مرةً أُخرى
الى مَجْدِ الكتابَةْ ...

١١

أرْجِعيني مرةً أُخرى
إلى عصرِ الحَطَبْ ..
فأنا ضَجْرانُ من كلِّ الحَداثاتِ ..
وكُلِّ المُحْدَثين ..
ومن الجازِ .. من (الديسكو) ..
من التفكيرِ بالأقدامِ ..
والإحْساسِ بالأقدامِ ..
والتقبيلِ بالأقدامِ ..
والرَّقْصِ الذي يرقُصُهُ كُلُّ الراقصينْ ..

١٢

آهِ.. لو أنّي تعرّفْتُ على سيّدتي
قبلَ آلافِ السنينْ..
ليتني كنتُ اكتشفتُ الشِعْرَ فيكِ
مثلما تكتشفُ الأسماكُ
شُطآنَ الحنينْ..

١٣

كيفَ ضيَّعتُ ألوفَ السَنَواتْ ؟
قبلَ أن أكتبَ عن عينيْكِ ..أحلى الكلماتْ ؟
قبلَ أن أجمَعَ عن ظَهْرِكِ.. أزهاراً.. وأصدافاً..
وأطواقاً من اللؤلؤِ.. والقُطنِ..
ومن غَزْلِ النَبَاتْ ؟؟

١٤

آهٍ.. يا أرقى.. ويا أنقى..

وأعزَّ السيّداتْ..

ليتَنا من رَحِمِ الشِعْرِ انْفَجَرْنا

واخترعنا لغةً للعشْقِ..

ما مرّتْ بتاريخِ اللُغَاتْ!..

١٥

أَرْجِعيني مرةً أخرى..

إلى عَصْرِ الحَطَبْ..

وإلى عصرِ المَهَا..

وبساتينِ الرُّطَبْ..

أَرْجِعي لي الشِعْرَ - يا سيِّدتي -

إنه آخِرُ ما أحملُ من وَشْمِ العَرَبْ!!..

لندن ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٧

التَفَرُّغ

١

أَتَفَرَّغُ لِعِشْقِكْ..

دونَ أن أستأذنكِ في شَيْءْ..

ودونَ أن أستشيركِ في شيءٌ..

فالعشقُ عندي.. هو بعضٌ من فِطْرَتي

وجزءٌ من طبيعتي..

٣

إنّني أتصرّفُ بغريزتي وحدَها..
كما تتصرّفُ الأشجارُ.. والأزهارُ..
والعصافيرْ..
وكما تتفرّغُ فرنسا لصناعةِ النبيذْ..
وكشميرُ لصناعةِ الحريرْ..
وهولندا لزراعةِ التوليبْ..
وإسبانيا لعزفِ (الفلامنكو)..
وعيونُ النساءِ العربيّاتْ..
لصناعةِ الشعرْ!!

٣

أتفرّغُ لهواكِ..
كما يتفرّغُ الطفلُ لقطعةِ حلْوى
وكما تتفرّغُ النحلةُ لصناعةِ عَسَلِها..
وكما تتفرّغُ الحمامةُ لاحتضانِ أطفالِها..
وكما يتفرّغُ النمْرُ..
للدفاعِ عن كبريائِهْ!!

٤

أتفرّغُ للكتابةِ عنكِ..
كما يتفرّغُ نبيٌّ لكتابةِ الوحيْ..
وكما تتفرّغُ بيوتُ الشّامِ لصناعةِ الياسمينْ..
وكما تتفرّغُ نساءُ الشّامِ..
لصناعةِ الأُنوثةْ..

٥

أتفرّغُ لتصميمِ جَسَدِكْ..
كما يتفرّغُ معماريٌّ
لتصميمِ مدينةٍ مقدّسةْ..
وكما تفرّغَ البابليونَ.. لبناءِ بابلْ..
والمصريّون لبناءِ وادي الملوكْ..
أرفعُ صدرَكِ عالياً فوقَ البحرْ..
كأنّهُ منارةُ الاسكندريةْ..
حتى لا تضيعَ المراكبْ...
وتضيعَ طيورُ النَّوْرَسْ..

٦

أتفرَّغُ لعشقِكِ ليلاً ونهاراً..
صيفاً.. وشتاءً..
كما يتفرَّغُ الربيعْ
لصناعة شقائقِ النُعمانْ..
وكما يتفرَّغُ العُصْفورُ لصناعة الحريَّةْ..

٧

أتفرَّغُ لكِ.. يا أميرةَ الأميراتْ..
كما تتفرَّغُ القدسْ
لصناعةِ الأنبياءْ...

٨

أتفرّغُ لكِ، أيتُها المقدّسةْ..
كما يتفرّغُ الرسولُ لرسالتِهْ..
والصوفيُّ لكشوفاتِهْ..
والشاعرُ لتغييرِ حجارةِ العالَمْ...

٩

أقرأُ كتابَ يديْكِ..
حرْفاً.. حرْفاً..
فاصلةً.. فاصلةْ..
كما أقرأُ (نشيدَ الإنشادْ)..
أو (سورةَ مريمْ)...
أو كونشرتو البيانو لتشايكوفسكي..
وأعدُّ أصابعَكِ كلَّ ليلةْ..
كما يعدُّ الصائغُ خواتمَهُ الذهبيّةْ..

١٠

أكتبكِ.. على سنابلِ القمحْ..
فتأتي العصافيرُ عند الصباحْ..
وتحملكِ إلى أولادِها!!.

١١

أكتبكِ..
قصيدةً في كتابِ الدهشةْ..
فيحملكِ التلاميذُ معهم
في محافظهم المدرسيّةْ..

١٣

أكتبكِ بلغة الشجرْ..
ولغةِ المطرْ..
ولغة عصافير الكناري..

أكتبكِ..
بلغة الإنسان الأولْ..
والعصفورِ الأول..
والمرأةِ الأولى..
التي تبحثُ عن اسمٍ لأنوثتها..

١٣

أكتبكِ على دفاتر دمي..
فتزدادُ ثقافتي..

١٤

أكتبكِ..
قبل أن يكونَ إيقاعُ الربابةْ..
وقبل أن تكونَ الكتبُ.. والكتابةْ..

١٥

أكتُبُكِ في كتابِ النِساءْ..
فيصبحُ الليلُ قنديلاً..
والعالمُ قصيدةً..
وبُسْتانَ نخيلٍ...

١٦

أجملُ ما في وجهِكِ الجميلِ، يا سيّدتي..
بأنّهُ من غيرِ ما هويةٍ..
وغيرِ ما بلادْ...

أجملُ ما في وجهِكِ الجميلِ، يا سيّدتي..
بأنّهُ يخترعُ التاريخَ.. والبلادْ..

أجملُ ما في جسمِكِ المجنونِ.. يا سيّدتي..
بأنّه يجعلني في لحظةٍ رَمادْ...

لندن سبتمبر ١٩٩٧

لـو

أكتوبر ١٩٩٧

١

لو أنكِ جئتِ .. قبيل ثلاثين عاماً
إلى موعدي المنتظَرْ ..
لكانَ تغيَّرَ وجهُ القضاءِ ..
ووجهُ القَدَرْ ...

٢

لو أنكِ حبيبتي .. قبلَ ثلاثينَ قرناً

لطرّزتُ بالكلماتِ يديكِ ..

وملأتُ بالماءِ وجهَ القمرْ ..

٣

لو أنكِ كنتِ حبيبةَ قلبي ..

قبلَ ثلاثين قرناً ..

لزادت مياهُ البحورْ ..

وزادَ اخضرارُ الشجرْ ..

٤

لو أنكِ كنتِ رفيقةَ دربي..
لفجّرتُ من شَعرِكِ الشموسَ..
وأخرجتُ من بينِ نهديكِ..
ألفَ قمرْ..

٥

لو أنكِ كنتِ حبيبةَ قلبي
قُبيلَ ثلاثينَ قرناً..
تغيّرَ تاريخُ هذا البلدْ..
فقبلكِ.. ليس هناكَ نساءٌ.
وبعدكِ..
ليس هناكَ أحدْ!!..

عن حضارةِ ما بعدَ الأنوثة !!..

١

إذا قابلتِ رجلاً..
يعرفُ أن يحبّكِ.. أكثرَ منّي..
ويفرشُ أهدابَهُ تحتَ قدميكِ..
أكثرَ منّي..
ويموتُ من أجلِكِ..
أكثرَ منّي..
فقولي لي: مَنْ هُوَ؟...
حتّى أذهبَ إليهِ، على الفورْ..
كي أُقبّلَ يديهْ..
وأقدّمَ له آياتِ الشكرِ والعرفانْ..
وأضعَ على صدرِهِ وسامَ البطولهْ..
فإنّ حبّكِ.. هو ذروةُ البطولهْ..
وقمّةُ الاستشهادْ....

٢

إذا عثرتِ على عاشقٍ فدائيٍّ.. مثلي..
يُفجّرُ نفسَهُ.. ويُفجّرُكْ..
ويُحوّلُ جسدَكِ.. إلى غابةٍ مُشتعلَةْ..
وأعضاءَكِ إلى مجموعةٍ من الكواكبْ..
فلا تهربي من المغامرةِ المجنونةْ..
لأنّكِ، لن تكوني امرأةً حقيقيّةً..
إلا إذا عشقتِ عشقاً كاملاً..
واحترقتِ فوق صدري..
احتراقاً كاملاً...
وفنيتِ في نارِ الوجدْ..
فناءً كاملاً...

٣

إذا كنتِ تعرفينَ رجُلاً..
يغسلُكِ بأمطارِ الأنوثةْ..
كما فعلتُ..
ويحبُّكِ بالشعرِ.. من رأسِكِ إلى قدميكِ..
كما فعلتُ...
ويجعلُ من نهديكِ.. قصيدتينِ من الذهبْ..
كما فعلتُ..
ومن خصرِكِ.. قيثارةً إسبانيّةً..
كما فعلتُ..
إذا عثرتِ يوماً، على هذا الرجلِ الخرافيِّ..
فدُلّيني على عنوانِهْ..
قبلَ أن تخطفَهُ امرأةٌ أُخرى!!

٤

إذا قابلتِ رجلاً..
يزيّنكِ بالياسمين الدمشقيّ..
كما فعلتُ..
ويؤلّفكِ.. ويلحّنكِ..
ويرسمكِ على جدران الكنائسْ..
كما فعلتُ..
ويربّيكِ على أضلاعهِ، كحمامةٍ بيضاءْ..
كما فعلتُ..
إذا وجدتِ مثلَ هذا الرجلِ المبدعْ..
فلا تتركيهِ أبداً..
لأنهُ مسؤولٌ عن صياغة أنوثتكْ..
من الألِفِ.. الى الياءْ....

٥

إذا صادفتِ رجلاً..
يحترفُ الثورةَ.. والجنونْ..
ويقلبُ العالمَ من جذورهِ..
ويكسرُ القانونْ!!..
فخبّئيهِ في عينيكِ.. يا كبيرةَ العيونْ..
فلنْ تكوني امرأةً كبيرةً..
إلاّ إذا تعمّدتِ بماءِ الشعرِ. والجنونْ..

٦

إذا عرفتِ رجلاً..
يتعاملُ معكِ.. كما يتعاملُ الرسّامُ مع لوحتِهْ..
والنحّاتُ مع منحوتتِهْ..
والعازفُ مع معزوفتِهْ..
إذا عرفتِ رجلاً..
يعرفُ كيفَ يعجنُكِ..
بالقِشْطةِ.. والعَسَلِ.. وأزهارِ الغاردينيا..
ويجعلُكِ طويلةً كسنبلةِ قمحْ..
وخضراءَ.. كبستانِ نخيلْ..
فأرجو أن تدلّيني عليهْ..
حتى أشكرَهُ.. كما تشكرُ الحقولُ شهرَ إبريلْ..

٧

إذا رأيتِ رجلاً يُشْبِهُني..
بتطرّفي.. وتوحّشي.. وطبيعتي البدويّة..
فظلّي مرسومةً كالوَشْمِ على ذراعيْهْ..
وتمشّي تحتَ شمسِ بداوتِهْ..
لأنّكِ لن تكوني امرأةً حقيقيّةْ..
خارجَ إيقاعِ الرَبابةْ..
ورائحةِ القهوةِ المُرّةْ..
وقصائدِ امرئِ القيسْ...

٨

إذا صادفتِ رجلاً..
لهُ طبيعةُ الحصانِ الجامحْ..
وغضبُ البحرِ.. وجنونُ الأمواجْ..
فأرجو أن تحتفظي بهِ..
لأنَّ الخيلَ العربيةَ وحدها..
هي التي تعرفُ كبرياءَ العشقْ..

٩

إذا كان ثمّةَ رجلٌ..
إستطاعَ أن يجعلكِ قصيدةَ القصائدْ.
وملحمةَ الملاحمْ..
ويطوّبَ لكِ السماواتِ السبعْ..
ويحملَ الى سريركِ.. المنَّ والسلوى..
إذا كان ثمّةَ رجلٌ..
يعرفُ كيف يجعلكِ واحدةَ النساءْ..
وثامنةَ المعجزاتْ..
ويطرّزُ شراشفكِ بالورد.. والذهبْ..
وشقائقِ النعمانْ..
فأخبريني من هوَ؟؟
حتى أطمئنَّ على مجدِ نهديكِ...

١٠

إذا كانَ ثمّةَ رجلٌ..
يعرفُ كيفَ يتحمّلُ منكِ سلطانةَ زمانِكْ..
ويحملُكِ أُولى النِساءْ..
وآخرَ النساءْ..
وخاتمةَ العصورْ..
فأخبريني من هوَ؟
حتى أقدّمَ لهُ ولائي..
وأبايعَهُ ملكاً.. على مدى الحياةْ...

١١

لا تكترثي كثيراً بعصر الحضارةْ..
فهو عصرُ ما بعدَ الأنوثةْ..
وما بعدَ الشعرْ..
وما بعدَ الحريّةْ..!!

١٢

إذا وقعتِ على مثلِ هذا الرجُلِ المُعجزةْ...
فخلّيكِ معَهْ..
لأنكِ لن تكوني امرأةً جميلةً..
إلا معَهْ..
ولنْ تكوني قصيدةً عظيمةْ..
إلا معي..!!

لندن ١٥-٣-١٩٩٨

بدونكِ ...

بدونكِ ، سيِّدتي ، لا كتابَهْ ..
وليس هنالكَ من يكتبونْ ...
وليس هنالكَ حكاياتُ عشقٍ
وليس هنالكَ من يعشقونْ ...

بدونكِ ..
لا شيءَ يحدثُ في الكونْ ..
لا شيءَ يمطرُ ..
لا شيءَ يزهرُ ..
لا كحلَ يولدُ تحتَ الجفونْ ..

بدونكِ..
لا أتذكّرُ إسْمي..
ولا أتذكّرُ شكلي..
ولا أتذكّرُ بيتي..
ولا أتذكّرُ في الشامِ..
رائحةَ الوردِ.. والزيزفونْ..

بدونكِ ليس هنالكَ نصفُ كلامٍ..
ونصفُ اشتياقٍ..
ونصفُ احتراقٍ..
ونصفُ وصالٍ..
ونصفُ حنينٍ..
فحين تغيبينَ عنّي..
تكونُ القصيدةُ أو لا تكونْ..

بدونكِ..
ما كنتُ أعرفُ ما هو فضلي عليكِ..
وما هو فضلُ الجنونْ..

إذا لم تكوني معي..
فماذا تُساوي حياتي؟..
وماذا سأقرأُ..
ماذا سأكتبُ
كيف أشكّلُ فكري..
وما هي قيمةُ عمري..
إذا لم تضيئي..
كجوهرةٍ في حياتي؟..

بدون شك..
كل الحبيبات وهمٌ..
وكلّ الصبايا سرابٌ..
وكل الشموس ظلامٌ..
وكل الحضور غيابٌ..
أيا امرأةً كلُّ عشقٍ لديها افتراضٌ
وكلّ سؤالٍ بغير جوابٌ..

بدون شك..
ليس هناك ضرورةٌ لشيءٍ..
وجدوى لشيءٍ..
ونفعٌ لشيءٍ..

فكل الحياة بدونك
قبض سراب..
وكل السؤالات
من دون عينيك
ليس لهن جوابٌ..

فأنتِ الخيط الشروق..
وأنتِ الوقت الغيابْ...

ومن دونك تاجيَ شوكٌ
ومملكتي ترابٌ..
ومن دون إيقاع صوتكِ.. ما هو صوتُ الربابْ..
ومن دون ثغرك.. ما هو طعم الشراب..
أحبك جداً..
أيا امرأةً على حطبي ناهديها يطيب العذاب

بدونكِ..

لا أملٌ أن يجيءَ إلينا المَطَرْ..

ولا أملٌ أن يَطولَ السَّجَرْ..

ولا أملٌ.. أن يطلّ علينا القمَرْ..

بدونكِ..

ليس هناكَ صديقٌ

أنامُ على صدره غيرُ صدرِ الضجَرْ..

بدونكِ.. لا يتبقّى من الشعر شيءٌ..

ولا يتبقى من الحلم شيءٌ..

ولا يتبقى من الأبجدّية شيءٌ..

ولا يتبقى حروفٌ.. ولا مُفرداتٌ..

فكيفَ أقولكِ شعراً؟..

اذا من فمي قد أخذتِ..

جميعَ اللغاتْ...

بدون حضوركِ..

ليس هناك حُضورْ

وليس هنالكَ للبحر لونٌ..

وللرمل لونٌ..

ولا للمراكب لونٌ..

ولا للطيورْ..

بدونكِ ليس هناكَ قلوبٌ تسافرُ

ليس هناكَ نجومٌ تدورْ..

بدونكِ..

ليس هنالكَ عطرٌ جميلٌ..

فإنكِ تاريخُ كلّ العُطورْ!!

آذار ١٩٩٨

مُرَبَّعات...

مارس ١٠

١

أنا مُرَبَّعٌ..
يبحثُ منذُ القرنِ الأوَّلْ
عن بقيةِ أضلاعِهْ..
يبحثُ منذ بداياتِ التكوينْ .
عن صورةِ وجهِهْ..
يبحثُ منذُ بداياتِ السينما
عن اسمِ امرأتِهِ الضا[illegible]!...

٢

أنا المسيحُ عيسى ابنُ مريمْ..
أبحثُ منذ تاريخِ صَلْبي
عن دمي.. وجراحي.. ومساميري!!

٣

أنا في مربّعٍ، رسمتِهِ أنتِ..
فلا أستطيعُ الهروبَ الى امرأةٍ ثانيهْ..
أنا بين نهدَيْكِ في مأزقٍ..
ولا أستطيعُ الخلاصَ من الزاويهْ!!..

٤

أنا في مربّعٍ إسمهُ الشعرْ..
فلا أستطيعُ الذهابَ شمالاً..
ولا أستطيعُ الذهابَ جنوباً..
وأعرفُ أنّي سأُقْتَلُ بالضَرْبَةِ القاضيهْ..

٥

أنا شاعرٌ عربيٌّ.. يموتُ..
على خنجرِ العشقِ يوماً..
ويوماً.. على خنجرِ القافيهْ.

٦

أنا في مرتّجٍ، إسمهُ الأنوثةْ..
فأيُّ الجميلات تُفْرِجُ عنّي..
وليس هنالك كُتُبٌ.. ولا راويةْ..

٧

أنا في مرتّجٍ.. إسمهُ القصيدةْ..
في أساورها تلبسني..
في خواتمها تحبسني..
في ضفائرها تحاصرني..
في قدميها تتزيّنُ بي..
كخلاخيل الحريّةْ!!

٨

أنا في مربّعٍ مفتوحٍ عليكْ..
من الجهات الأربعْ..
من الشعر الأسود.. الى الحلق الفضّيّ..
ومن الأصابع المرصّعة بالنجومْ..
الى الشامات التي لا عددَ لها.....

٩

أنا مربّعٌ أخضرُ.. في بحر عينيكِ..
وما زلتُ أُبحرُ..
ما زلتُ أغرقُ..
ما زلتُ أطفو.. وأرسو..
وأجهلُ في أيِّ وقتٍ..
يكونُ وصولي..
الى رمل صدركِ.. أيتها الغاليةْ..

١٠

أنا في مربّعٍ .. إسمُهُ الكتابةْ ..
ولا أستطيعُ التحرّرَ منكِ ..
ولا أستطيعُ التحرّرَ مني ..
فأينَ يداكِ ..
تُضيئانِ أيامي الآتيةْ ..

١١

أُحبُّكِ ..
يا مَنْ أُلملِمُ من شفتيها
بقيّةَ أحلامي الباقيةْ ..

١٢

أُحبُّكِ ..
يا ألفَ إمرأةٍ في ثيابي ..
و يا ألفَ بيتٍ من الشِعْرِ ..
يملأُ أوراقيَهْ ...

القصيدة الأُخيرة بدون عنوان

آذار ١٩٦٨

ما تُراني أقولُ ليلةَ عُرْسِي؟ جَفَّ وردُ الهوى، ونامَ السامرْ.

ما تُراني أقولُ يا أصدقائي في زمانٍ تموتُ فيه المشاعرْ؟

لم يعُدْ في فمي قصيدةُ حُبٍّ سقَطَ القلبُ تحت وَقْعِ الحوافِرْ

ألفُ شكرٍ لكمْ.. فأنتمْ شراعي ومجاري، والغالياتُ الجواهرْ

فأنا منكمُ سرقْتُ الأحاسيسَ وعنكمْ أخذتُ لونَ المَحَاجِرْ

أنتمُ المبدعونَ أحلى شِعْري وبغيرِ الشعوبِ، ما طارَ طائرْ

فعلى صوتكمْ أُدوزنُ شِعْري وبأعراسِكمْ أزفُّ البشائرْ.

• • •

أنْزِفُ الشعرَ، منذُ خمسينَ عاماً ليسَ سهلاً أن يصبحَ المرءُ شاعرْ

هذهِ مِهْنَةُ المجانينِ في الأرضِ وطَعْمُ الجُنُونِ طَعْمٌ باهِرْ..

أنْزِفُ العشْقَ والنساءَ بصمتٍ هل لهذا الحزنِ الدمَشْقيِّ آخِرْ؟

لستُ أشكو قصيدةً ذَبَحتْني قَدَري أن أموتَ فوقَ الدفاترْ

بيَ شيءٌ من عِزَّةِ المُتنبي وبقايا من نارِ مَجْنُونِ عامرْ..

لم يكنْ دائماً فراشي حريراً فلكمْ نمتُ فوقَ حدِّ الخناجرْ

فخُذُوا شُهْرتي التي أرهقَتْني والإذاعاتِ كلَّها.. والمنابرْ

وامنحوني صدراً أنامُ عليهِ واصلبوني على سوادِ الضفائرْ.

• • •

أنا من أمةٍ على شكلِ نايٍ
هي دوماً حُبلى بمليون شاعرْ
كلُّ أطفالنا يقولونَ شعراً
والعصافيرُ، والرُبى، والبيادرْ.
ما بنا حاجةٌ لمليونِ أديبٍ
نحنُ في حاجةٍ لمليونِ ثائرْ
تُطلِعُ الأرضُ شاعراً كلَّ قرنٍ
تتباهى الأشعارُ مثلَ السجائرْ..
هل سَعِدْنا بشعرنا أم شقينا
أم غفَوْنا على رنينِ القياثرْ؟
فانتصرنا يوماً ببحرٍ طويلٍ
وانهزمنا يوماً ببحرِ الوافرْ

• • •

أنا في الشِعْرِ، قاتلٌ أو قتيلٌ
ما هو الشعرُ عندما لا يُغامرْ؟
مِهْنَتي أن أغيّرَ الكونَ بالشِعْرِ
وفي ليلهِ أضيءُ المنائرْ.
مِهْنَتي أن أعمّرَ الأرضَ عشقاً
وأغنّي لكلِ ظبيٍ نافرْ..
مِهْنَتي أن أقولَ ما لم تقولوا
وضميري يقولُ كلَّ الضمائرْ
المواويلُ في دمائيَ تجري
فإلى أينَ من دمي سأهاجرْ؟
إنني أنزفُ الحقيقةَ نزفاً
مثلما تنزفُ الدموعَ المحاجرْ.
أكتفي حرائقَ الشِعْرِ.. حتى
قيل عنّي مهرّجٌ أو ساحرْ
فاعذروني إذا نزفتُ بروقاً
يكتبُ الحرُّ رأيَهُ بالأظافرْ..

• • •

للمليحاتِ كلُّ حبّي وشكري
فلقد كُنَّ في حياتي الأزاهرْ
إنَّ فَضْلَ النساءِ فضلٌ عظيمٌ
فأنا دونهنَّ طفلٌ قاصرْ
إنني دائخٌ أمامَ الجميلاتِ..
فشعرٌ يأتي.. وشعرٌ يسافرْ
رُبَّ نهدٍ غسلتُهُ بدموعي
فتشظّى كعلبةٍ للجواهرْ
الحضاراتُ كلُّها شُغْلُ أنثى
والثقافاتُ من رنينِ الأساورْ
تزرعُ المرأةُ السنابلَ والوردَ..
ويبقى كلُّ الرجالِ عشائرْ

يوميات شباك دمشقي

عندما كنتُ في السابعة من عمري..

لم أتعلم العشق.. على يد معلم.. أو معلمة..

ولم أدرس مبادئه الأولى في مدرسة..

ولم أعثر على أوصافه في الكتب..

الدرس الأول في العشق.. تعلمته من الشبابيك..

شبابيك دمشق.

شبابيك دمشق أو الخصاص أو المشربيات، أو الشناشيل..

أقدم مركز للاتصالات في العالم.. قبل أن تكون الأقمار الصناعية

كانت شبابيك دمشق في النهار شديدة الخفر

وشديدة الحرص على تقاليد المدينة المحافظة..

والرادارات..

وأجهزة الفاكس..

حتى اذا جاء الظلام..

اقتربت الشبابيك من بعضها..

وأخذت تحاور بعضها..

وتعانق بعضها..

وتشكو لبعضها ما عانته من حرارة الشمس، وطول الحصار..

العتيقة
من شباك
الى شباك كحمامة صياد
وحنية الصباح القبلية
تنتقل في الهواء مثل زهرة ياسمين..

شبابيك دمشق شبابيك عاشقة

~~كانت الشبابيك العاشقة~~ ..و تتقدم.. نحو بعضها..

بشرشف مستعار.. تغوينا مستترة.. حين سترا..

فيلامس الصدر الصدر.. والخاصرة الخاصرة..

وتدخل الأضلاع في الأضلاع..

دون اكتراث.. بالخرائط الهندسية..

ودون أن يكون لديها رخصة من بلدية العاصمة..

حتى كان العشق يأخذ إجازة من أحد؟

شبابيك دمشق.. شبابيك عاشقة..

فذراع حول خاصرة..

وشفة تلتصق بشفة..

وضلوع تدخل في ضلوع

شبابيك دمشق..

تغير عناوينها باستمرار..

وبرغم أن هذه الشبابيك مصنوعة من خشب الجوز العتيق.. وأنها تخاف الرصاص.. إلا أن لها عيوناً تشاهد الزمن.. وقلوباً لا تتوقف عن الخفقان..

شبابيك دمشق تغير عاداتها باستمرار..
وتتقدم نحو بعضها في شهور الربيع
عشرين سنتمتراً..
ثلاثين سنتمتراً..
خمسين سنتمتراً
كما تتشابك أصابع العشاق..
فيلامس الصدرُ الصدرَ
والخاصرةُ الخاصرة..
وتدخل الأضلاع في الأضلاع..
دون اكتراث بالخرائط الهندسية..
ودون أن يكون لديها رخصة من بلدية العاصمة..
متى كان العشق يأخذ إجازة من أحد؟

•

شبابيك دمشق..
لا تعترف بالفن المعماري الحديث
ولا تعترف إلا بخرائط القلب..
قد يكون القلب مهندساً فاشلاً..
أو مجنوناً..
أو مطروداً من نقابة المهندسين..
ولكن دمشق فخورة بشبابيكها
التي فيها شيء من غرابة الحلم
وشيء من غموض القصيدة..
وبالكحل الأسود الذي يقطر من
ثقوب شبابيكها..
التي فيها شيء من غرابة الحلم
وشيء من غموض القصيدة..

والذين يعرفون حارات دمشق القديمة، يعرفون أن هندسة الشبابيك فيها قامت على أساس عاطفي..
[illegible].. لا على أساس معماري..
فلقد أرادها العاشقون المشتاقون أن تكون منبر حوار.. وأداة وصل.. وجسراً تمشي عليه الأشواق في الليل دون أن يراها أحد..
شبابيك دمشق..
تستريح نهاراً..
وتمارس [illegible] السهر عند الغروب..
والعشق بعد منتصف الليل..

•

خلال رحلاتي الدبلوماسية الطويلة كنت أغيب سنوات عن حارتنا.. وعن بيتنا القديم في حي (مئذنة الشحم)..
وفي كل مرة كنت أزور حارتنا / بعد غياب أعوام / كنت أحسّ أن جغرافية الحارة.. شيئاً ما قد تغيّر.. وأن الشبابيك التي كانت على الطرف الشمالي.. انتقلت الى الطرف الجنوبي.. والتي كانت في الطابق الأعلى.. نزلت الى الطابق الأرضي..
وأن الأزهار الممدودة على شباك جارنا.. زحفت خلال فصل الربيع إلى شباك جارتنا..

شبابيك دمشق.
تقوم بمهمة ساعي البريد،
فلا تتقاضى أجراً..
ولا تطلب ثواباً..
ولا تكشف سراً..
ولا تقرأ رسائل العاشقين..

كنت أتأمل الظاهرة، ولا أخبر أحداً حتى لا
يقال عني أنني مجنون...
ولكن هجرة الشبابيك كانت هجرة حقيقية..
وإن كانت هجرة غير معلنة..

•

كان أهل دمشق يحكون الحكايا عن البيوت
التي تحدث في داخلها ظواهر مريبة..
فيقولون عن هذه البيوت إنها (مسكونة)
بالجان.. أو العفاريت الحمر..
وعندما رأيتُ شبابيك حارتنا
بأم عيني.. تزور بعضها.. وتدردش مع بعضها..
وتعانقُ بعضها.. وتنام
على وسادة واحدة.. وتتغطى بضوء القمر..
عرفتُ أن البيوت المسكونة ليست من
صنع المخيلة.. وأن العفاريت الحمر تقفز
من شباكٍ إلى شباكٍ آخر.. دون أن يراها
أحد.. أو يمسكها أحد..

•

حين كنت صغيراً لم أجرؤ أن أخبر
أمي عن هجرة الشبابيك..
كنت أخشى أن تخبرني قد (خاويتُ)
الجن.. وأن تأخذني إلى الشيخ ليكتب لي حجاباً
يخلصني من سلطة العفاريت..

ولقيت محتفظاً بسرّي، حتى أصبحتُ شاعراً
وصار مسموحاً لي أن أقابل أي عفريت أشاء..
في أي مقهى أشاء..

صارت العفاريت الحمر من أعزّ أصدقائي..
وصرتُ أشربُ القهوةَ معها.. وأستشيرها
في بعض الأحيان في نصوص قصائدي...

شبابيك دمشق.. لا شبيه
لها بين جميع شبابيك العالم..

فلها عيون، وأهداب، وأذرع، وشفاه
وأصوات.. وإشارات.. ورموز سرية.. ولغة لا يفهمها إلا الدمشقيون.
فحين تشتاق.. تمدّ ذراعيها..
وحين تحزن.. تقفل أجفانها..
وحين تفرح.. تصنع فنجان قهوة
تركية.. وتبصّر في الفنجان..

وحين يتوقف الشباك المقابل عن الكلام
أو المراسلة أو إطلاق القبلات في الهواء..
يدخل الشباك العاشق في حالة اكتئاب..
ويضرب عن الطعام.. وعن الزيارات، وعن العناية بالأطفال [illegible] بأرتي الزرع.. وعن المجاملات الاجتماعية
ويتفرغ لكتابة رواية طويلة عن (الحب الضائع)...

الشبّاك الدمشقي له حياة خاصة كحياة
كل فرد من سكان البيت..
وحريته هي حرية مطلقة..
الحرية الاجتماعية، والحرية المدنية، والحرية
العاطفية... وحرية التغزل بمن يشاء.. باللغة التي يشاء..
وربما كانت حرية الشبابيك في بعض الأحياء
الشعبية تتجاوز حرية شباب هذا الحي، وبناته..
فالشباك له حصانته.. وامتيازاته.. ومكانته الاجتماعية.. وهو
جزءٌ من تاريخ دمشق، كما هو جزء من
شجرة العائلة..

حرية الغزل بين الشبابيك.. منصوص عليها
في الدستور.. ومعترف بها في كل القوانين..
لذلك لا يمكن القضاء القبض على شباك..
أو محاكمته.. بتهمة رمي وردة.. أو
قصيدة شعر.. إلى الشباك المجاور..
وهكذا بقيت الشبابيك الدمشقية
تتبادل
الرسائل.. والفناجين [illegible] والأساور المبرومة، وباقات الورد،
وعلب الملبس، والفاكهة المجففة،
ونوادر منذ العصر الأموي حتى اليوم
العشاق والمتيمين..

[illegible]

وأذكر أن فصل الخط في دمشق [illegible]

[illegible]

[illegible] في بيت عربي صغير [illegible]

[illegible]

وعندما زرته في بيته زيارة مجاملة

سألته: لماذا ترك الحي البورجوازي [illegible] في

أبي رمانة.. وجاء ليسكن في قلب دمشق الأموية..

قال لي: لقد جئت إلى هذه الدار الصغيرة

لأتعلم اللغة العربية من الشبابيك..

• ألا تلاحظ معي - أنت الدمشقي - أن

شبابيك بيوتنا تتكلم بفصاحة نادرة..

إنني أعتبر الشبابيك [illegible]

وأصل درجة [illegible]

والعناصر.. على الطبيعة..

الشبابيك [illegible]

القوسية [illegible]

وعندما نقلنا الفصل [illegible]

سنوات من العمل في دمشق.. [illegible]

ولقي في [illegible]

يستأهل دراسته [illegible] الشبابيك..

•

شبابيك دمشق كائنات مشدودة [illegible]

وذات جهاز عصبي متطور..

إنها ليست مصنوعة من خشب الجوز أو [illegible]

ولكنها مصنوعة من دم.. ولحم.. وأعصاب..

لذلك قضيت طفولتي وأنا أراقب أحوال

الشبابيك، وطبائعها، وتحولاتها بين الليل والنهار

ومن كثرة ما رأيت، وسمعت، ولاحظت

خطر لي أن أكتب كتاباً بعنوان ([illegible]

يوميات شباك دمشقي)...

ولكن الناشر [illegible] ([illegible]

هناك شباك في الدنيا يكتب يومياته؟؟ [illegible]

قلت له: نعم [illegible]

[illegible] قال: [illegible]

[illegible] .. ليوقع على العقد...

الأستاذ [illegible]

ولكن الناشر سألني ببلاهة:

- وهل هناك شبّاك في الدنيا .. يكتب يومياته؟

قلت له: نعم .. أنا أعرف شبّاكاً شامياً موهوباً

كتب أحاسيسه بأسلوبٍ رائع .. ومخطوطة كتابه عندي

أجابني الناشر بصوتٍ ساخر:

- إذا كان الأمرُ كما تقول، فليتفضل (الأستاذ الشبّاك) الى مكتبي .. ليوقع على العقد..

الشبابيكُ الدمشقية
أستاذة في فن العلاقات العامة..
فما مرّ سائحٌ فرنسيّ
إلا تحدثت معه بالفرنسية..
ولا مرّ سائحٌ انكليزي
إلا سلّمت عليه باللغة الانكليزية..
ولا مرّ سائحٌ اسباني
إلا وأخذته بالأحضان..
وذكّرته
(بزمان الوصل بالأندلس)
وبقصائد جنّتنا
(ولادة بنت المستكفي).

وبعد..

فهذه مقتطفات قصيرة من (يوميات شبّاك دمشقي..) لم يقبل أي ناشر عربي، أن يصدرها في كتاب..

لأن الناشرين العرب.. يركضون وراء

مذكرات العسكريين الذين لم يدخلوا الحرب..

والسياسيين الذين لا يعرفون (كوعَ السياسة من بوعها)

والأثرياء الذين يتاجرون بصفقاتهم المالية والعقارية

والثوار الذين لا يعرفون من الثورة سوى [illegible]..

وزعماء الدول الذين تركوا دولهم (على الحديدة)..

ورجال الدولة الذين خرّبوا دولهم..

والمناضلين الذين لم يناضلوا إلا على الورق

نزار قباني

- وُلِدَ في دمشق في 21 آذار (مارس) 1923.
- درس في دمشق، وتخرَّج من كلية الحقوق بالجامعة السورية عام 1944.
- التحق بعد تخرّجه من الجامعة بوزارة الخارجية السورية، وشغَلَ عدداً من المناصب الدبلوماسية في القاهرة، وأنقرة، ولندن، ومدريد، وبكين، وبيروت.
- استقالَ من العمل الدبلوماسي في ربيع عام 1966، وأسّس داراً للنشر في بيروت باسمه، متفرّغاً بذلك لقَدَره الوحيد: الشعر.
- ركَّز في بداياته على شعر الحُبّ، وحاول أن يُخرجَ علاقات الحبّ في المجتمع العربي من مغائر القَهْر.
- كسرَ صورةَ المرأة الجارية، وحوَّلَ جسد المرأة العربية من وليمةٍ بدائيّة، تُسْتَعملُ فيها الأنيابُ والأظافر، إلى معرض أزهار.

* اخترعَ لنفسه لغةً خاصةً به، تقتربُ من لغة الحوار اليومي، وان
بشعره إلى جميع طبقات الشعب العربي، كاسراً بذلك جدار الخو
بين الشعر وبين الناس، بحيث أصبحَ الشعرُ على يده خبزاً يومي
وقماشاً شعبياً يرتديه 200 مليون عربي.

* أكثرُ الشعراء العرب شعبيّة، وشُهْرَةً، وانتشاراً. وأشدّهم تأثير
في وجدان مواطنيه، وأوّلُ من (أمَّمَ) الشعر وجعله حديقةً عام
يدخلها جميع المواطنين، ومَطراً يسقُطُ على جميع النوافذ.

* كَتَبَ الشعر وهو في السادسة عشرة (1939)، وكان ديوانه الأول
«**قالت لي السمراء**» الصادر عام 1944، زِلْزالاً شعرياً ضرب أساسات
الشكل والمضمون في القصيدة العربية.

ومنذ هذا الديوان الانقلابي، وهو يقاتل حتى يصبحَ البحر أكثر زُرْقَةً..
والأشجار أكثرَ ورقاً.. وقامةُ الإنسان أكثر ارتفاعاً... والحرّيةُ أكثرَ
حريّةً...

* اضطرته ظروف الحرب اللبنانية إلى مغادرة بيروت عام 1982، حيث
أقام بين سويسرا وبريطانيا.

* أمسياتُهُ الشعرية التي يقدّمها في كلّ المدائن العربية، تُعتبر من الظواهر
الثقافية النادرة، كما تُعتبرُ تأكيداً لموقع الشعر الخطير في حياة العرب،
وفي تشكيل وجدان الإنسان العربي.

* انتقل شعرُهُ بعد هزيمة 1967 نَقْلةً نوعيّة، من شعر الحبّ، إلى شعر
السياسة والرفض والمقاومة، واستطاعَ منذُ ذلك التاريخ أن يمسكَ
الوردةَ والمسدّسَ بيدٍ واحدة.

* أصدر إحدى وأربعين مجموعةً شعريةً ونثريةً بدءاً من مجموعته
الشعرية الأولى «**قالت لي السمراء**» 1944 حتى مجموعته الشعرية
الأخيرة أنا رجلٌ واحد.. وأنتِ قبيلةٌ من النساء.. الصادرة في أيلول
(سبتمبر) عام 1993.

* أهمُّ قصائده التي أحدثَتْ خَضَّةً في المجتمع العربي، وأثارت غَضَبَ
المحافظين والماضويين هي «خبزٌ وحشيشُ وقَمَر» التي كتبها في لندن
عام 1954، وناقشها البرلمان السوري حينئذ، حيث طالب النواب
اليمينيون بمحاكمة الشاعر، وطرده من السلك الدبلوماسي.
والقصيدة الثانية المغضوب عليها، كانت «**هوامش على دفتر
النكسة**» التي كتبها في أعقاب حرب 1967، ومارس فيها نقداً ذاتياً
جارحاً للتقصير العربي، مما أثار عليه غضب اليمين واليسار معاً.

* خطابُهُ الشعريّ ـ سواء العاطفيّ منه أو السياسيّ، يتميّز بالصدق،
والعنف، والتوتّر العالي. وأهمُّ ما فيه كشاعر، أنه لا يُقسم الكلمةَ إلى
نصفَيْن.. ولا الحقيقة إلى نصفَيْن.

* شاعرٌ تصادمي وغاضب، كنس ألوفَ الخرافات التي تستوطن رأسَ الإنسان العربي، وقاتلَ كلَّ ملوك القهر، وكُلَّ رموز القمع . ولم يتزوّج من كلّ نساء العالم، سوى امرأةً واحدة، هي الحريّة.

* توفي في منزله في لندن فجر الخميس يوم 30 نيسان 1998.

* أولاده: هدباء وزينب وعمر.

كتب نقْدِيَّة عَن الشَاعِر

1 ـ نزار قبّاني شاعراً وإنساناً: محيي الدين صبحي، دار الآداب، بيروت، 1958.

2 ـ الكون الشعري عند نزار قبّاني: محيي الدين صبحي، دار الطليعة، بيروت.

3 ـ النرجسيَّة في أدب نزار قبّاني: الدكتور خريستو نجم، دار الرائد العربي، بيروت 1983.

4 ـ الأبعاد الشعرية عند نزار قباني: جورج مسعد، بيروت 2003.

ترجَمَات

1 ـ إلى اللغة الإنجليزية، أنطولوجيا الشعر العربي، الدكتورة سلمى الخضراء الجيّوسي. مؤسسة بروتا، الولايات المتحدة.

2 ـ إلى اللغة الإنجليزية، أنطولوجيا الشعر العربي الحديث، دار Penguin، لندن.

3 ـ إلى اللغة الإنجليزية، Arabian Love Poems، المترجم: بسام فرنجية وكليمنتاين براون، Three Continents Press، واشنطن 1993.

4 ـ إلى اللغة الإنجليزية: On Entering The Sea, The Erotic and other Poetry of NIZAR Qabbani، ترجمة: لينا جيّوسي، وشريف الموسى وشعراء أميركيين. الناشر: Interlink Books، نيويورك، 1996.

5 ـ إلى اللغة الفرنسية، Femmes، ترجمة محمد عضيمة، دار Arfuyen، باريس.

6 ـ إلى اللغة الإسبانية، Poemas Amorosos Arabes، المترجم: بدرو مارتينث منتابث، الناشر: المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد 1965.

7 ـ إلى اللغة الإيطالية، Instituto Per L'oriente Poesie, Roma.

أوسمة وشهادات عالميّة

* وسام الاستحقاق الثقافي الإسباني عام 1964 ـ مدريد، تقديراً لما فعله الشاعر لمدّ الجسور الثقافية بين العرب وإسبانيا.
* جائزة جبران العالمية ـ قدّمتها للشاعر رابطة إحياء التراث العربي ـ سيدني، أوستراليا.
* وسام الغار ـ من النادي السوري الأميركي في بلدية واشنطن D.C.، 27 أيار (مايو) 1994.
* ميدالية التقدير الثقافي ـ الجمعية الطبية العربية الأميركية، لجنة الثقافة والتراث، حزيران (يونيو) 1994.
* عضوية شرف في جمعية متخرجي الجامعة الأميركية في بيروت، ودرع الجمعية، 30 تشرين الثاني (نوفمبر) 1995.
* جائزة سلطان بن علي العويس للإنجاز العلمي الثقافي، دبيّ، 24 آذار (مارس) 1994.
* شاعر لكل الأجيال ـ لدار سعاد الصباح بيروت 1998.

الفهرست